IJHER International Journal of Humanities and Educational Research
ISSN: 2757-5403
Volume 6, Issue 2, April 2024

Received: 09/02/2024 **Accepted:** 06/03/2024 **Published:** 01/04/2024

ARABIC LANGUAGE, LOGIC AND CIVILIZATION, ANY BRIDGE TO CROSS?

Dr. Sabah BOUAYAD [1]

Umm Al-Qura University, Saudi Arabia

Dr. Assia REDOUANE [2]

Sidi Mohammed ben Abdellah University, Morocco

Abstract:

Thinking and using reasoning are proofs of mental engagement by an individual, whose intellect varies, and whose share of it fluctuates according to its development through knowledge and enrichment with sciences. Hence, the connection between language and the mind is evident, and the connection between the mind and knowledge is necessary or theoretical within an interactive relationship.

Objectives: This study aims to explore the relationship between the mind and language, examine the connection between language and logic, investigate the relationship between logic, philosophy, and sciences among Moroccan scholars, and analyze the impact of language, knowledge, and philosophy on civilization.

Research question: What is the role of logic in shaping the scientific mind of Moroccan scholars? What is the impact of logic on their language when classifying sciences and delving into the reasonable and transmitted aspects of arts?

Outline: The research will attempt to reveal the impact of logic on scholars, and its impact on shaping their language and knowledge through the following axes.

1.The role of logic in shaping the scientific language of Moroccan scholars.

2.Uses of logic in definitions, boundaries, and sciences.

3.The reflection of language, knowledge, and logic on civilization.

Key Words: Arabic Language; The Language Relationship With Logic and Science; Civilization.

http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.25.21

[1] sabah.bouayad@gmail.com

[2] assiakat@gmail.com

اللغة العربية وعلم المنطق والحضارة، أي جسر للعبور؟

د.صباح بوعياد

جامعة أم القرى، السعودية

د. أسية رضوان

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب

الملخص:

الأهمية: إن التفكر واستعمال النظر لدليل على اشتغال العقل من طرف المكلف، الذي يختلف منه العقل اختلاف الشكل واللون، ويتفاوت نصيبه منه تبعا لتفاوته في تنميته بالعلم، وتغديته بالعلوم والمعارف.

من هنا كان ارتباط اللغة بالعقل بديهيا، وكان ارتباط العقل بالعلم ضروريا أو نظريا، في علاقة تبادلية بين التأثر والتأثير، قوة أو ضعفا.

أهداف الدّراسة: تهدف هذه الدراسة إلى دراسة مدى علاقة العقل باللغة، وإلى دراسة علاقة اللغة والعلم بالمنطق، وإلى دراسة علاقة المنطق بالفلسفة والعلوم لدى علماء المغرب، وإلى دراسة انعكاس كل من اللغة والعلم والفلسفة على الحضارة.

إشكالية البحث: إذا كان أساس الحضارة اليوم كما في الماضي هو هذا الإنسان الناطق، فما دور المنطق في تشكيل العقل العلمي لدى علماء المغرب.

وما أثر المنطق على لغتهم عند تصنيفهم في العلوم، وعند غوصهم في المعقول والمنقول من الفنون؟

مخطط تعريفي: سيحاول البحث الكشف عن مدى تأثر العلماء بالمنطق، وتأثيرهم فيه، وأثره في تشكيل لغتهم وعلمهم. عبر المحاور الآتية:

1.دور المنطق في تشكيل لغة العلم لدى علماء المغرب.

2.استعمالات المنطق في التعريفات والحدود والعلوم.

3.انعكاس كل من اللغة والعلم والمنطق على الحضارة.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية؛ علاقة اللغة بالمنطق والعلم؛ الحضارة.

المقدمة:

لعل المراحل التي مرت منها اللغة العربية قد طبعت ولا شك الحضارة الإسلامية بطابعها، فمن لغة الشعر إلى لغة علم الكلام إلى لغة علم المنطق والعلوم. وكل مرحلة كانت تفضي بها إلى أخرى بشكل سلس إن لم أقل متسلسل إلى أن اكتمل المسير فاستوى عودها، وبلغت أشدها، وأغدقت على الحضارة من الثمرات الدانية والدينية ما خدمت به الإنسانية وختمت عليها بخاتم الخصوصية الأخلاقية التي كنا نجدها في العلوم والمعارف، وفي السلم والحرب سواء بسواء.

ذلك أن اللغة العربية هي الأقدر على استيعاب ذلكم الكم الهائل من المعاني والأحكام والحكم المرتبطة أساسا بالأخلاق والقيم. فلاعجب إذا أن تكون هي اللغة التي اختارها الله لسانا لكلماته التي تمت صدقا وعدلا. لسان كتابه المبين الذي إنما أنزله بالحق والميزان، ليحمل الناس بقوة على احترام الشريعة والقانون بتنزيلهما على الأرض والإنسان.

لقد أبت لغة الأخلاق إلا أن تمتزج بالحضارة امتزاجا عضويا مما جعلها تتبوأ مكانا عليا في علم المنطق. وترتقي في الانتقاء في فن صناعة الكلمة عبر التصور والتصديق. وبناء الدليل والبرهان، واعتماد القياس وضبط المصطلح حتى لا ينصرف المعنى إلى غير ما أريد له في التعريف والحد.

المحور الأول: دور المنطق في تشكيل لغة العلم لدى علماء المغرب

قال الشيخ شهاب الدين المقري في أزهار الرياض: لما شرق السلطان أبو الحسن المريني، وانتهت به درجة الاستبداد والاستقلال ببلاد إفريقيا.

فظهر فقهاء المغرب ممن صحبه على فقهاء تونس، لحفظهم كتاب التهذيب (1) عن ظهر قلب. وزعيم فقهاء المغرب حينئذ أبو عبد الله السطي إلى أن جاءت نوبة الشيخ ابن عبد السلام، وعقد مجلسه بمحضر السلطان، فكان كأنه بحر تلاطمت أمواجه، وتلميذه ابن عرفة كذلك...فقال للسلطان...فأعجب بهذين العالمين. (2)

ولذلك نجد الإمام السنوسي الذي شرح مختصر ابن عرفة المنطقي يثني عليه ويشهد له بالتفوق في النظر في علم المنطق فيقول: الشيخ الإمام، علم الأعلام، ورأس الأئمة النظار. (3)

المبحث الأول: علاقة الفلسفة والمنطق باللغة

"إن موضوع دراسة الفلسفة كان يتسع ليشمل الخبرة الإنسانية كلها ...فكان طعام الفكر الفلسفي: هو أي شيء، وكل شيء. والتخصص الذي تتميز به الفلسفة ليس تخصصا في ميدان المضمون، ولكنه تخصص في الهدف، والطريقة. فالفلسفة طريقة خاصة للنظر إلى المعرفة والخبرة التي نمتلكهما بالفعل ...الفلسفة لا تستخدم اللغة المعتادة ..لكن هدفها هو تعديل اللغة، وإعادة تشكيلها، حتى تحقق فهما وإدراكا أكثر عمقا ووضوحا." (4)

وهذا هو الاختيار الذي سنعتمده في حديثنا عن المنطق الذي يسعى إلى تعديل اللغة وإعادة تشكيلها.

المنطق الذي فعلا كان باعه طويلا في اللعب باللغة، والتسلي بمفرداتها دون النظر إلى الدلالات والمعاني. فاستخرج منه العلماء ما يتناسب والرياضيات، واستبدلوا الكلمات بالرموز والحروف، لتنتفي عن المنطق مشكلات المعاني ومدى صدق دلالاتها في الواقع المحسوس.

وهكذا كان السجال في الماضي في مجال العلوم بما فيها من حساب أو هندسة. وكانت الأرقام والرموز، تجد لها تفسيراتها في مجال رحب يسمى بالمنطق الذي شكلت اللغة فيه الجانب المهم. أغنى العقل وحركه، في قسم الألفاظ والكلمات محمولات كانت أو موضوعات.

تشابه فيها الحديث بين الماضي والحاضر، وإن اختلفت المسميات، وتنوعت المدارس، وتفارقت الأزمنة. لقد كان جهد المفكرين والعلماء المتمرسين هو البحث عن الحكمة، والتعمق في دراسة مسائل العلم وقضاياه، بتقليب المصطلحات على مختلف الأوجه والاحتمالات بحثا عن الدقة في التعبير حتى يصل إلى مستوى الكلام المفيد الجامع المانع.

فكانت اللغة عندنا لغة عالمة، ولم يخل علم عندنا من منهج الجدل، ومقارعة الحجة بالحجة، وصار التفلسف يصبغ المرحلة بطابعه الخاص. وتقدمت العلوم ذات الصلة بالفلسفة في الجانب النظري والتطبيقي والتجريبي حسب طبيعة المرحلة ووفق معطياتها.

المبحث الثاني: دور المنطق في تشكيل لغة العلم

كان اليوسي يرى أن تفاوت الناس في العقل هو سبب تفاوتهم في العلم، وأن العقل للعلم بمثابة السهم الذي يرمي به صاحبه، والجارح المصيد به. فمتى اشتغل بوحشية انتقل عن أخرى، ومتى توجه إلى ناحية، حاد عن الأخرى، وذلك بإذن الله تعالى. (5)

ذلك أن العقل سبب العلم وآلته، فحيث لا عقل كما في الجمادات والحيوانات لا علم. وكذا حيث لم يكمل: كالصبيان أو عرضت له آفة: كالمجنون والنائم.

"إن العقل يقوى ويضعف في ذاته، بإذن الله تعالى، ولذا يقال : من الناس من أعطي من العقل قيراطا أو درهما أو درهمين أو قنطارا أو قنطارين، أو نحو ذلك. وفي هذا المعنى قال القائل: "لقيت فلانا، فوجدت عقله أكثر من علمه، وفلانا فوجدته على العكس.

وفي هذا الصدد يقال: إنه قد يقوى العقل وتقل الملكة: لعدم الاشتغال، وقلة الممارسة. وقد تقوى الملكة مع ضعف العقل: لشدة الممارسة وطولها، ومآل هذا إلى ضعف، فإن كل شيء راجع إلى أصله. وقد تكون الملكة ويقل التحصيل: لقلة المراجعة أو سوء الحفظ. وقد يوجد التحصيل، ويقل التحقيق: لقلة الممارسة أو سوء الفهم. ومتى قيل: فلان حافظ أو حافظ العصر: فتارة يراد به ظاهره من التحصيل، وهو الظاهر. ويجوز أن يراد به الملكة: وهو العلم. (6)

"والعلم ثمرة الطلب، والطلب ثمرة التوفيق." "وعلامة العلم هي التصرف في كل معنى." (7) ولا يصل إلى هذه الدرجة من العلم إلا من كان عقله أكثر من علمه.

ولما كان ارتباط العقل بالعلم لا يخفى ، كان حكم العقلاء من الناس على العقل من خلال العلم المودع في كتب أصحابها. قال مسلمة بن عبد الملك : "ما قرأت كتابا قط لأحد إلا عرفت عقله منه." (8)

إن الله بلطيف حكمته وبديع صنعته، خلق العقل، وجعل غذاءه العلوم والمعارف، ويسر له الاستعداد من الموجودات ... (9)

ولذلك أكد اليوسي رحمه الله على ضرورة تشغيل العقل بالعلوم، وصيانته من الشواغل حتى يتقوى الفهم والحفظ ذلك أن الإنسان إن أعطي العقل والقريحة بأن رزق من طبعه عقلا وافرا، وقريحة مشتعلة أو فطنة أو همة، فقد كفي مؤونة استجلاب ذلك. وإنما عليه مؤونة الصيانة، بأن يصون عقله من الشواغل، وقريحته من الفترات. فيصونهما من هموم النفس، وتصرفاتها جلبا ودفعا، غير ما هو بصدده من الاشتغال. ذلك أن العقل في أول نشوء الإنسان يكون بمثابة الطفل أو الغرس، يفتقر إلى أغذية لائقة. وغذاؤه اللائق: العلوم والمعارف التي هو بصددها: فإن شغله بذلك تقوى، وقوي على ما يريد وراءه، وجرى به. وإن شغله بإدراكات أخر دنيوية أو ما لا حاجة إليه، لم يقو إلا بالاشتغال بالعلوم والمعارف. وإن تعطل العقل في الفهم، فتر وجمد: كالطفل المقطوع عنه الغذاء، والغرس المقطوع عنه الماء. فقد بان أن أضر شيء بالعقل الاشتغال بما لا يعني، وإن تبطل العقل في الفهم حيث لم يحسن غذاؤه: فيضعف أو يموت.

وأما الحفظ: فهو موهبة من الله تعالى: قويا أو ضعيفا. ويكون بارتسام الأشياء المدركة بالحواس بعد غيبوبتها - زعم الحكماء في خزانة من وراء الدماغ- تسمى الحافظة.

فإن بقي فيها الشيء بحيث لو أريد استحضاره حضر بلا كلفة: كان ذلك حفظا.

وإلا: فنسيان وذهول.

ويقوى كل من الفهم والحفظ، ويضعف.

فمن الناس سريع الحفظ والفهم، سريع النسيان، وشديدهما.

أو شديد الحفظ، وسريع الفهم.

أو شديد الفهم، وسريع الحفظ. (10)

المبحث الثالث: استعمالات المنطق في الحدود

المطلب الأول: التعريف بالقانون

في القاموس: القانون مقياس كل شيء.

وفي الاصطلاح : هو حكم كلي ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه. (11)

المطلب الثاني: التعريف بالعقل والعلم

العقل مشترك بين معان، واختلف في معناه هنا:

- فقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: هو العلم ببعض الضروريات: أي ببعض القضايا الكلية البديهية: إذ لا يكون هو العلم بجميعها، وإلا لم يسم عاقلا من فاته شيء منها. ولا يكون بالنظريات، لتوقفها على النظر، المتوقف على العقل.

- وقال القاضي: هو العلم بوجوب الواجبات، واستحالة المستحيلات، ومجاري العادات.

وهو كالأول، أو هو تفسيره.

- وقال الإمام الظاهر: إنه غريزة يتبعها العلم بالضروريات، عند سلامة الآلات.

فمن ذهب تمييزه لعارض نوم أو سكر أو جزع، عاقل، لوجود الغريزة. ولعله يريد هنا بالإمام الظاهر ابن حزم الظاهري الذي عرف العقل بنفس التعريف، مع تعويضه الآلات بما تدل عليه: من العقل والحواس. (12)

- وقيل: هو قوة حاصلة عند العلم بالضروريات، يتمكن بها من اكتساب النظريات.

- وقيل: قوة يميز بها بين الأمور الحسنة والقبيحة. (13) وقد نسب اليوسي هذا التعريف للمعتزلة في كتابه "نفائس الدرر".(14)

مؤكدا في كتابه "القانون" أن هذه التعريفات ترجع إلى معنى واحد، وأن مبدأ وجود هذه الغريزة عند اجتنان الولد، ثم لاتزال تنمو حتى تكمل عند البلوغ. (15) ونجده يصرح أنه نقل هذا التعريف عن القاموس في كتابه "نفائس الدرر". (16)

كما يربط اليوسي رحمه الله العقل بالعلم عند تعريفه العقل في "القانون"، فيقول: قيل: نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية. (17)

وهذا الربط بين العقل والعلم نجده أيضا في تعريف الغزالي للعقل في "المستصفى" إذ يقول: غريزة يتهيأ بها الإنسان، لدرك العلوم النظرية. (18)

ذلك أن اليوسي رحمه الله في كتابه"الحاشية " كان يرى ضرورة تخصيص العلم بإدراك الكلي والمركب دون الإحساس. وهو نفس الرأي الذي تبناه الغزالي في العلم. إذ أن العلم عند الغزالي هو التصديق اليقيني كما أورد اليوسي في "الحاشية على كبرى السنوسي"(19) مرجحا في كتابه "القانون" الظاهر من إطلاقات العرب حيث استعمال لفظ العلم في أعم من ذلك حيث أن العلم عندهم هو الاعتقاد الجازم المطابق مطلقا. (20)

وكان اليوسي قد أشار إلى اختيار الإمام الرازي في كون العلم ضروريا، وناقشه في الوجهين مناقشة مستفيضة في "القانون" لن نذكرها هنا اختصارا.

فقال: قيل: إنه ضروري، واختاره الإمام الرازي لوجهين:

الأول: إن العلم يمنع اكتسابه **بنفسه**: وهو ظاهر.

وبغيره: لأن الغير إنما يعلم بالعلم، فلو علم العلم بغيره، لدار: فتعين طريق الضرورة.

الثاني: إن علم كل أحد بوجوده ضروري، وهذا علم خاص أخص من مطلق العلم. متركب منه ومن الخصوصية الإضافية، مسبوق به. وإذا كان هذا ضروريا، فسابقه أولى أن يكون ضروريا: وهو العلم من حيث هو، وهو المطلوب. (21)

المطلب الثالث: التعريف بالمنطق

في "نفائس الدرر" عرف اليوسي رحمه الله المنطق، فقال:آلة للقوة العاقلة في وصول أثرها إلى المطالب النظرية: وهو الاكتساب. وهي قانونية: لأن قواعده أحكام كلية.

كما نقل تعريف الكاتبي في الشمسية، قال: المنطق هو قانون مفيد لمعرفة طرق اكتساب النظريات من الضروريات، والإحاطة بالصحيح والفاسد من الفكر الواقع فيها. (22)

قال الإمام السنوسي في شرح المختصر المنطقي للإمام ابن عرفة: يعني أن التصور والتصديق ليس كل فرد من أفرادهما بضروري: وهو الذي لا يتوقف إدراكه على نظر. (23)

أما في "القانون" فقد عرفه اليوسي، بقوله: المنطق: هو العلم الباحث عن المعلومات التصورية والتصديقية من حيث التأدي بها إلى مجهول تصوري أو تصديقي... فانقسم عنده علم المنطق إلى قسمين: تصورات وتصديقات. ومنفعته: تقويم الفكر عن الزيغ، وحراسته عن الخطأ في المدارك، وناهيك بها، فهو المعيار على العلوم كلها. (24)

أما ابن عرفة فقد عرف المنطق بأنه قانون تعصم مراعاته الفكر من غلطه. **وذهب إلى أن** الأمر إذا كان متعلقا لا بقيد حكم : ف**تصور.** أما إذا تعلق به مع الحكم عليه بنفي أو إثبات **: فتصديق.** وارتأى أن كلا منهما بديهي إن لم يتوقف على نظر، وكسبي إن توقف عليه. (25)

وإذا كان السنوسي يعرف العلم بأنه هو حصول صورة الشيء في الذهن. فإن اليوسي ينتقد هذا التعريف: لأن التصديق فيه بسيط، إذ لم يتعرض فيه السنوسي للطرفين، وفقا لمذهب الحكماء. مقررا أن أقوالهم قد اضطربت في تفسير التصديق، على مذهب الحكماء. إذ أن الحكم عندهم هو التصديق فقط، وما بقي من الإدراكات: فهي شرط فيه، إذ التصديق عندهم بسيط. (26)

المحور الثاني: استعمال اليوسي المنطق في علم الأصول جريا على سنن ابن عرفة والسنوسي

المبحث الأول: استعمال المنطق في تعريف علم أصول الدين بين الأخذ والرد

إن ابن عرفة كان قد عرف علم أصول الدين بأنه هو العلم بأحكام الألوهية، وإرسال الرسل، وصدقها في كل أخبارها، وما يتوقف شيء من ذلك عليه خاصا به، وتقرير أدلتها، بقوة: (27) هي مظنة لرد الشبهات، وحل الشكوك: فيخرج المنطق.

يشرح الشيخ أبو الثناء محمود مقديش الصفاقسي في كتابه "نور الحق المبين في شرح المرشد المعين" ماذا يقصد من إخراجه المنطق من التعريف. فيقول:

فيخرج علم المنطق: لعدم اختصاصه بالكلام، فإنه كما يتوقف عليه تحقيق هذا العلم، يتوقف عليه تحقيق غيره، فلا اختصاص له به، فلا يعد من علم الكلام. وهذا معنى قوله : خاصا به، بخلاف المنطق لعموم الحاجة إليه، في غير علم الكلام من العلوم. (28)

أما اليوسي رحمه الله، فيعترض على إدراج تقرير الأدلة في تعريف ابن عرفة، بقوله: فأدخلنا في الحد موضوع العلم، لأن ذلك سنة الحد خلاف ما فعلوا، في تعاريفهم. ودخل في أحوال الخطاب: النبوءات والسمعيات. ولا حاجة إلى زيادة تقرير الأدلة الواقع في تعريف ابن عرفة: لأن العلم هو ذاك.

وإذا كان تقرير الدليل هو عين علم أصول الدين عند اليوسي رحمه الله، فلذلك لا داعي لإدراجه في تعريفه، فإن ابن عرفة يؤكد على ذكره في التعريف نصا على أهميته. ذلك أن الدليل عنده هو الفارق بين العالم والمقلد حيث يقول:

حكى تلميذ ابن عرفة الشيخ البرزلي قائلا: سمعت شيخنا الفقيه أبا عبد الله ابن عرفة في مجلس تدريسه، يقول: إن هذه الوساوس لا ترد إلا على المقلدة، وأما من عرف التوحيد بدليل، فلا ترد عليه بوجه. (29)

يحدد اليوسي اختياره في هذا التعريف فيقول: فالحاصل من علم الكلام عندنا اليوم أنه العلم الباحث عن الكائنات من حيث إثبات موجدها، وصفاته وأفعاله، وخطابه لخلقه، وأحوال الخطاب، وما يتوقف عليه شيء من ذلك خاصا به.

مؤكدا في تعريفه على إخراج هذه الزيادة: "كون البحث جاريا على القوانين الشرعية": لأن المراد شمول الفن لكلام الموافق والمخالف، ولذلك دخل كلام أهل الأهواء من الملليين في حده.

كما أشار إلى أنه قد أدرج فيه المتأخرون جملا من الرياضيات والطبيعيات، ومباحث كثيرة فلسفيات: للاتساع والانتفاع. (30)

ولعله رحمه الله كان يقصد بالمتأخرين: الغزالي الذي أدرج فيه الرياضيات: ليبين أنه لا تعلق للإلهيات بها. والطبيعيات بأقسامها: ليبين أن الشرع لا يقتضي المنازعة فيها ولا إنكارها، إلا في أربعة مسائل. (31)

مما جعل سعد الدين التفتزاني يعلق على ذلك، بقوله: حتى كاد العلم الإلهي لا يتميز عن الفلسفة الأولى لولا اشتماله على السمعيات. (32)

المبحث الثاني: استعمال المنطق في علم أصول الفقه لدى اليوسي

يبين اليوسي –رحمه الله- دور الجهل بالدلالات اللغوية في إثارة كثير من الاختلافات بين النظار في كتابه: "مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص" الذي ألفه للحد من الاختلاف حول مفهوم: لا إله إلا الله، يقول: ما أتى مثل هؤلاء في إنكار بعضهم على بعض، ومبادرة بعضهم إلى تجهيل غيره وتضليله، إلا من إهمال الألفاظ، وما تدل عليه من أنواع الدلالة، وقلة الالتفات إلى ضروب المعاني المتشعبة: من ذهنية وخارجية، وجزئية وكلية، وقلة استحضار الفنون المختلفة من معقول ومنقول. (33)

كما ذهب اليوسي رحمه الله إلى أن الدليل النقلي يفيد الظن، وما دونه بلا شبهة. وأن قوما أنكروا إفادته اليقين: لتوقفه على تحقق وضع اللفظ للمعنى المدعى، المتوقف على عصمة الرواة، وعلى تحقق إرادة ذلك المعنى، باللفظ المتوقف على نفي احتمال المجاز، والنقل والاشتراك، والإضمار، والنسخ، وعلى تحقق انتفاء المعارض العقلي: إذ هو المقدم، لأنه الأصل.

ويعترض اليوسي رحمه الله على هؤلاء المنكرين إفادة الدليل النقلي اليقين، بقوله: والحق أنه قد يكون الوضع ضروريا لتواتره: كالسماء والأرض والخيل والبغال، في معانيها اللغوية. وينتفي الاحتمال والمعارض بالقرائن الشرعية والعقلية: كالصلاة والزكاة والإيمان: في معانيها الشرعية: فيفيد اليقين. (34)

كما ذهب اليوسي رحمه الله إلى أن الظاهر أن الدليل إن كان على اصطلاح المنطقيين: فهو إما عقلي محض، وإما مركب. والنقلي المحض، لايصح: لأن المقدمات وإن كانت نقلية. لابد من ملاحظة استلزام المطلوب فيها : وهو عقلي. مستثنيا من هذه المسألة: إن لوحظت المادة فقط. ففي هذه الحالة، يصح التثليث: أي تقسيم الدليل إلى: عقلي محض، ونقلي محض، ومركب.

وإن كان الدليل على اصطلاح الأصوليين: وهو أنه ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى علم أو ظن...فهو إما عقلي محض أو نقلي كذلك، ولا معنى للمركب. (35)

يستمر اليوسي رحمه الله في تقليب الكلام على احتمالاته الممكنة إلى أن يقول في كتابه: البدور اللوامع شرح جمع الجوامع: قال سيف الدين الآمدي في أول كتاب الأحكام: قد عرف أن استمداد أصول الفقه إنما هو من الكلام والعربية والأحكام الشرعية، بمبادئ غير خارجة عن هذه الأقسام الثلاثة: وعليه ابن الحاجب.

أما استمداده من الكلام: فإن المراد منه ذكر الأدلة الشرعية. وثبوتها موقوف على النبي، الموقوف على دلالته المعجزة. الموقوفة على معرفة الباري تعالى: بما له من الصفات المصححة للفعل. إنما يبين هذا كله في علم الكلام. يقول اليوسي: في هذا المقام بحث: وهو أن يقال: إن أريد بالموقوف على الصدق، ثبوت الأدلة في نفسها، فليس ذلك من مباحث الأصول، ولا من وظيفة الأصول.

وإن أريد ثبوت إفادتها الأحكام: كما يعبر به كثيرا، فاستمداده من اللغة. ألا ترى أن كون الأمر مثلا مفيدا للوجوب، يعرف من اللغة على الأصح: سواء ثبت الشرع أو لا. فأي فائدة للكلام هنا؟ (36)

وفي كتابه "القانون" يقرر أن استمداد علم أصول الفقه من علم أصول الدين كما سبق ذكره، مستغنى عنه، لأن الفرض الثبوت، وإلا فيحتاج إليه الفقه وغيره أيضا. ويختار رحمه الله أن يقال: إنه يذكر في علم أصول الفقه: الحدود والأدلة، فلابد من تصور الحد والدليل: وهو من علم المنطق. فيكون استمداد أصول الفقه من المنطق، ولذا يذكر منه

طرف أحيانا: كما فعل ابن الحاجب في مختصره، ولكن هذا لا يختص بهذا الفن. (37) ذلك أن غالب العلوم الشرعية يقوم على تصور الحدود والأدلة، وليس فقط علم أصول الفقه.

المبحث الثالث: علاقة علم المنطق بالعلوم

يناقش اليوسي قول ابن جزي في المنطق: إنه ينفع لإصلاحه للمعاني: كإصلاح النحو للألفاظ.، فيقول: فلم لاتعده في الآلات: كالنحو، وهل يكون صلاح اللسان أوكد من صلاح العقل، كلا بل الأمر بالعكس.

ويناقش قوله في أنه يضر لكونه مدخلا للفلسفة، فيقول: المنطق من علوم الفلسفة، فجعله مدخلا غلط.

وكذا عزله: الطب، والحساب، وأحكام النجوم منها، غير صحيح، فإنها منها.

ولعله يريد بعلوم الفلسفة بعضها: وهو ما يرجع إلى الخوض في الاعتقادات: وذلك العلم الإلهي، والمنطق ليس مدخلا إليه. بل هو آلة مستقلة لكل علم، ولذا لم يعدوه في الرياضيات ولا الطبيعيات. بل قسما برأسه. وسموه معيار العلوم: لأن كل علم فهو معروض عليه.

ولذا قيل: من لا معرفة له به لا وثوق بعلمه. ثم لو كان مدخلا للفلسفة، فقد علمت أن لا حرج في الفلسفة نفسها، فكيف بما هو مدخل إليها. (38)

المطلب الأول: مسألة حكم المنطق بين اليوسي والسيوطي في "النقاية"

إذا كان اليوسي -رحمه الله- قد بسط القول في الرد على ابن جزي، فإنه أوجز عند رده على السيوطي فقال: ونحو هذا قول السيوطي في "نقايته"(39): فإنه جزم بحرمة علوم الفلسفة، ومثل بالمنطق منها.

يقول السيوطي: العلم أس العمل، وهو ثمرته، وقليل منه خير من كثير مع جهل، فمن ثم كان أفضل من صلاة النافلة. وأفضله: أصول الدين، فالتفسير، فالحديث، فالأصول، فالفقه، فالآلات على حسبها، فالطب. وتحرم علوم الفلسفة: كالمنطق. (40)

وقد رد اليوسي على السيوطي بقوله: وقد كان ذكر الطب في العلوم المهمة عنده. فيقال له: إن حرمت علوم الفلسفة عندك، فالطب حرام؛ لأنه منها. فلم ذكرته، وأنكرت غيره؟

وإن قام عندك للطب دليل يخرجه عن نظائره، فهلا نبهت عليه، ثم عليك بيانه، وعليك بيان دليل الحرمة في جميعها. فإن كان لابتداعها؛ أي ابتداع استعمالها، وإخراجها إلينا. فالمبتدع أعم من المحرم، فلابد من دليل خاص. وإن كان لاشتمالها على فساد، فقد علمت أن كثيرا منها لم يشتمل عليه، فلابد من التفصيل.

ثم يقع البحث في المشتمل على ما مر. ثم إن كان كذلك: فالطب الذي ارتضيته أولى بالتحريم من المنطق: لأن الطب مشحون بأباطيل الطبائعيين والحكماء في القوى والأرواح، وتأثير البسائط العلويات في السفليات، وغير ذلك.

وأما المنطق فلم يقع فيه شيء يستنكر في العقيدة؛ لأنه إنما بحثه في التصورات والتصديقات ذهنا، من غير تعرض لصورة مخصوصة، ولا حكم مخصوص. نعم؛ وقعت فيه مسألة تنويع الحقائق بالأجناس والفصول الموهمة عدم تماثل أجرام العالم: وهو خلاف ما عند المتكلمين من تماثلها، الموجب للاستدلال بحدوث بعضها على حدوث الجميع. والخطب فيه سهل؛ فإنه ينبني على تجرد الحقائق، ولا ينافي ذلك تماثل الأجرام في ذواتها. والقول بالمجردات قد صار إليه كثير من المحققين، وآخرون توقفوا على أن حدوث العالم بعد القدر الذي يثبت وجود فاعل مختار، يكفي فيه السمع.

المطلب الثاني: مسألة حكم المنطق بين اليوسي والسيوطي في "الحاوي في الفتاوي"

يناقش اليوسي حكم المنطق عند السيوطي في "الحاوي في الفتاوي" في كتابه "الحاشية على كبرى السنوسي" فيقول: فأنا أعجب أن يصدر مثل هذا الكلام احتجاجا في نحو هذا المقام عن عاقل فضلا عن فاضل، وما كنت لأحسبه بهذه المنزلة، ولقد كنت أراه رحمه الله تعالى يترفع عنها. (41)

يقول السيوطي مفتيا من قال: "المنطق فرض عين على كل مسلم، وإن لمتعلمه بكل حرف منه عشر حسنات، ولا يصح توحيد من لا يعلمه، ومن أفتى وهو لا يعلمه، فما يفتي به باطل".

يقول السيوطي: "فن المنطق فن خبيث مذموم يحرم الاشتغال به، مبني بعض ما فيه على القول بالمجردات، الذي هو كفر يجر إلى الفلسفة والزندقة، وليس له ثمرة دينية أصلا بل ولا دنيوية، نص على مجموع ما ذكرته أئمة الدين وعلماء الشريعة: فأول من نص على ذلك: الإمام الشافعي رضي الله عنه.

ونص عليه من أصحابنا: إمام الحرمين، والغزالي في آخر أمره، وابن الصباغ صاحب "الشامل"، وابن القشيري، ونصر المقدسي، والعماد بن يونس، وحفيده... وأفتى به شيخنا قاضي القضاة شرف الدين النووي.

ونص عليه من أئمة المالكية: ابن أبي زيد صاحب "الرسالة". والقاضي أبو بكر بن العربي... وابن رشد، وابن أبي جمرة، وعامة أهل المغرب.

ونص عليه من أئمة الحنفية: أبو سعيد السيرافي. والسراج القزويني، وألف في ذمه كتابا: سماه "نصيحة المسلم المشفق لمن ابتلي بحب المنطق".

ونص عليه من أئمة الحنابلة: ابن الجوزي، وسعد الدين الحارثي. والتقي ابن تيمية، وألف في ذمه ونقض قواعده مجلدا كبيرا سماه: "نصيحة ذوي الإيمان في الرد على منطق اليونان" وقد اختصرته في نحو ثلث حجمه، وألفت في ذم المنطق مجلدا سقت فيه نصوص الأئمة في ذلك.

ويناقش السيوطي ما ورد في سؤال المستفتي، فيقول: وقول هذا الجاهل: إن المنطق فرض عين على كل مسلم، يقال له: إن علم التفسير والحديث والفقه: والتي هي أشرف العلوم، ليست فرض عين بالإجماع، بل هي فرض كفاية. فكيف يزيد المنطق عليها؟ فقائل هذا الكلام: إما كافر، أو مبتدع ،أو معتوه لا يعقل.

وقوله: إن توحيد الله متوقف على معرفة المنطق، من أكذب الكذب وأبلغ الافتراء، ويلزم عليه تكفير غالب المسلمين المقطوع بإسلامهم. ولو قدر أن المنطق في نفسه حق، لا ضرر فيه، لم ينفع في التوحيد أصلا، ولا يظن أنه ينفع فيه إلا من هو جاهل بالمنطق لا يعرفه: لأن المنطق إنما براهينه على الكليات، والكليات لا وجود لها في الخارج، ولا تدل على جزئي أصلا.

هذا ما قرره المحققون العارفون بالمنطق، فهذا الكلام الذي قاله هذا القائل استدللنا به على أنه لا يعرف المنطق ولا يحسنه." (42)

المحور الثالث: انعكاس كل من اللغة والعلم والمنطق على الحضارة

لعلنا نتساءل بعد كل ما قلناه في النهضة العلمية التي عرفتها بلاد المغرب في البوادي والمدن. هل يرجع الفضل في ذلك إلى الفتوحات وتمازج الحضارات. فماذا أنجزت الفتوحات الإسلامية من فتوحات علمية وحضارية إذا؟

وما علاقة تطور اللغة العربية بتطوير العقل والعلم في بلادنا، وما فضل اللغة العربية على التأمل والنظر حتى تم فتح ما انغلق من أبواب العلم، وتحريك آليات الفهم في مسيرة العلم والعلوم؟

وهذا الامتزاج والتجاور والتداخل بين اللغة العربية ولغات الأمم المفتوحة ماذا أفاد العلوم وكيف أدى إلى ازدهار الحضارة؟

وهل يمكننا أن ننكر دور العقل الإسلامي حضارة العربي لسانا في تطوير العلوم إلى اليوم؟

وكيف إذا تم انتقال اللغة العربية من لغة بسيطة إلى لغة علمية، وكيف انتقلت إذا من لغة الشعر والخطابة الخاصة بالعرب إلى لغة العلم التي لا تعرف حدود الزمان ولا المكان؟

ولماذا كان يتنافس العجم الذين دخلوا الإسلام في استيعاب اللغة العربية وخدمتها ومحاولة كشف أسرارها والغوص في فهم معانيها؟

وما السر الذي أهلها لتصبح سيدة اللغات، وما الأسباب التي بوأتها لتحتل الصدارة في الريادة العلمية والعالمية؟

إن المتأمل فيما كتبه من مضى من علمائنا في مختلف العلوم، ليلحظ بوضوح ارتفاع مستوى العلم والعقل واللغة. فقد أخذوا الكتاب بقوة، وتمكنوا من العلم بقوة، فانصاغت لهم اللغة طوعا، فصاروا بها يقارعون الحجة بالحجة.

ذلك أن الكلام منهم كان هادفا، كأنما لا يصاغ إلا ليدل على معناه، ولا يؤدي ضرورة إلا إلى حكمه.

لم تكن الحكمة لتجانبه، ولا الصدق ليجافيه. دامغا للباطل، لا يسعفه بأي وجه من وجوه الدليل، قاطعا عنه أي مدد أو حجة، وقد خالف المحجة.

ولم تكن العلوم يومئذ لتتيه بين أيديهم في تحديد المقصود، بل كنت تجد الهدف حاضرا واضحا جليا. وكأنك أمام الرقم المعدود في دقته وانتفاء احتمال الغلط عنه، لبعده عن التكلف والعبث وغياب المعنى. فكانت صناعة الكلمات عندنا في مختلف العلوم، تمضي على نسق نظم الشعر الموزون، حيث لم يكن اللفظ ليصدر إلا عن فكر وروية، سواء كان مفردا أو مركبا.

ولم يكن المعنى ليخرج إلا عن علم وعلة وحكمة، وكأنك باللغة وقد تدفقت من الفؤاد سليمة من أي تناقض أو اختلاف أو اختلال. الحق فيها أبلج لا يلتوي أو يتلجلج، محسوبة الحرف، محسومة الفهم. فحق للحضارة الإنسانية اليوم أن تفتخر بلسانهم وفكرهم وعلمهم، أو ليسوا هم أولو الألباب الذين خصهم الله بالعلم، وشرفهم بالانتساب إليه.

حفظوا الكتاب، فكان في صدورهم آيات بينات، وحفظوا الكتاب، فبقي بعلمهم حيا في واقع الحياة. وكذلك سيظل إلى قيام الساعة، نورا على نور، دائم الإعجاز، كما أنزله الله تعالى، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد.

مما يدل على قوة العلم وصفاء الذهن وجودة القريحة لدى هؤلاء المصطفين الأخيار. وقد اغترفوا من معين العلم، ونهلوا من منبعه الصافي، أو ليس كانت منهم البداية مع كتاب الله معلمهم وهاديهم إلى أقوم لسان وأفصح بيان.

فكيف ستعجزهم الكلمات، وهم بين تدبر واعتبار وتفكر وتعقل واستبصار. .حفظوه في صدورهم آيات بينات، مستلهمين منه قوة الكلمات، فأفصح لسانهم عن كلام حلو المذاق، عذب المعنى والمساق. فصار الكلم يولد عندهم الكلم، والعلم يولد بينهم العلم، والحكم يوجه العقل تأثرا وتأثيرا، والحكمة تبني الحكم بناء قويا متينا.

وما كانوا يوما سواء عند اختلافهم أو ائتلافهم، ليتحايلوا على كلام الله أو يبغوا به عوجا، مستشعرين هيبة كونه من عند الله، فاستقام منهم اللسان فالقلم بين السطور، كما استقامت قلوبهم التي في الصدور.

فكان الإنتاج في عقولهم، وكان الإبداع في علومهم، التي استوعبتها اللغة العربية، وقد تميزت بالسعة في اللفظ والبسطة في الفهم والعلم. ذلك أن الله العزيز الحكيم كان قد اصطفاها لتكون معجزة بإعجاز القرآن الكريم. واختارها من بين اللغات لتغدو لسانا علميا، شاهدا حضاريا على فترة ليست هينة من تاريخ بناء العلم والعالم.

جعلها الله لسانا عربيا نزل به رب العالمين القرآن الكريم تنزيلا، وفصل آياته تفصيلا، ليتم حفظه وفهمه وتثبيته. فتنزيله على الأحكام، وعلى معاش الناس، فقها وعلما وتأويلا. فسعدت البشرية بتشريعه، واستضاء الكون وقد عمه نوره، مستبشرا مهللا بانتشار هديه وعدله.

مصادر ومراجع:

ابن الحاجب، عثمان. (1898). شرح على مختصر: منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، والآمدي، الإحكام في أصول الأحكام. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.

ابن حزم. (1984). الأصول والفروع. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عبد ربه.(1928) العقد الفريد. محقق: محمد سعيد العريان. القاهرة: طبعة الأزهرية.

ابن عرفة. (2013) المختصر الكلامي. تحقيق نزار حمادي. الكويت. دار الضياء للنشر والتوزيع.

أبو القاسم البرزلي البلوي المالكي المتوفى 1438/841 ط: 2002م نوازل البرزلي أو ما يسمى جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام. تقديم وتحقيق أ.د. محمد الحبيب الهيلة. الكتاب في سبع مجلدات. دار الغرب الإسلامي بيروت.

خلف بن أبي القاسم محمد الأزدي القيرواني أبو سعيد ابن البراذعي المالكي المتوفى 372هـ . ط: 1423هـ/2002م. كتاب التهذيب في اختصار المدونة. دراسة وتحقيق محمد الأمين ابن الشيخ. دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث. دبي. الكتاب من أربعة أجزاء.

السنوسي شرح المختصر المنطقي مخطوط المكتبة الوطنية بتونس رقم 15811..

السيوطي، جلال الدين. (1985) النقاية. مصر: دار الكتب العلمية

السيوطي، جلال الدين. (2000) الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون. مصر دار الكتب العلمية.

العلوي المدغري، عبد الكبير. (1989). الفقيه أبو علي اليوسي. الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الغزالي، أبو حامد. (1989) إحياء علوم الدين. محقق: العراقي. بيروت: دار الفكر.

الغزالي، أبو حامد. (1993) المستصفى. مصر: دار الكتب العلمية

الغزالي، أبو حامد.(2000) تهافت الفلاسفة. محقق: سليمان دنيا. القاهرة: دار المعارف المصرية.

فيليب هـ . فينكس. (1982). فلسفة التربية. ترجمة وتقديم د.محمد لبيب النجيحي. القاهرة: دار النهضة العربية.

اليوسي، الحسن نفائس الدرر في حواشي المختصر تم النسخ سنة 1134هـ.. (مخطوط، فاس، في ملك القاضي شرف)

اليوسي، الحسن. (1982) المحاضرات في الأدب واللغة. بيروت، دار الغرب الإسلامي.

اليوسي، الحسن. الحاشية على كبرى السنوسي. (مخطوط). فاس: خزانة القرويين، رقم: 40-837.

اليوسي، الحسن. القانون في أحكام العالم والمتعلم، تحقيق صباح بوعياد (بحث غير منشور، لنيل شهادة الدكتوراه،

اليوسي، الحسن. القانون في أحكام العلم، الفهرسة، (مخطوط)، (الرباط، الخزانة العامة، رقم:1838د)

اليوسي، الحسن. القانون في أحكام العلم، تحقيق صباح بوعياد (بحث غير منشور، لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا: 1997م)

اليوسي، الحسن. مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص. (طبعة حجرية، في ملكية خاصة)

الهوامش

1) خلف بن أبي القاسم محمد الأزدي القيرواني أبو سعيد ابن البراذعي المالكي المتوفى 372هـ 1423هـ/2002. كتاب التهذيب في اختصار المدونة. دراسة وتحقيق محمد الأمين ابن الشيخ. دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث. دبي. الكتاب من أربعة أجزاء.
2) أبو عبد الله بن محمد بن عرفة 1434هـ/2013م " المختصر الكلامي " تحقيق نزار حمادي دار الضياء. الكويت.
3) الإمام السنوسي شرح المختصر المنطقي مخطوط المكتبة الوطنية بتونس رقم 15811.
4) فيليب هـ . فينكس 1982م فلسفة التربية ترجمة وتقديم د.محمد لبيب النجيحي دار النهضة العربية . القاهرة ص: 24-5
5) اليوسي، القانون في أحكام العلم، صباح بوعياد، تحقيق وتقديم سنة 1997م (بحث غير منشور، 647/2
6) نفس المرجع 667/2
7) اليوسي، صباح بوعياد، 2003م القانون في أحكام العالم والمتعلم، (دراسة وتحقيق (بحث غير منشور)، 183/2
8) ابن عبد ربه.1928 العقد الفريد. محقق: محمد سعيد العريان. القاهرة: طبعة الأزهرية 114/2
9) اليوسي، المحاضرات في الأدب واللغة،1402هـ-1982م، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 415/2
10) اليوسي، القانون في أحكام العلم : 648/2-649
11) اليوسي "نفائس الدرر في حواشي المختصر" تم النسخ سنة 1134هـ. مخطوط بفاس، في ملكية خاصة.

12) ابن حزم ، الأصول والفروع، ط:1، 1404هـ-1984م، بيروت، دار الكتب العلمية، 92/1-94
13) اليوسي، القانون في أحكام العلم : 137/1-140
14) اليوسي، نفائس الدرر في حواشي المختصر
15) اليوسي، القانون في أحكام العلم : 137/1-140
16) اليوسي، نفائس الدرر في حواشي المختصر
17) اليوسي، القانون في أحكام العلم : 137/1-140
18) الغزالي، المستصفى، بيروت، دار الفكر، 23/1
19) اليوسي، الحاشية على كبرى السنوسي، (مخطوط، فاس، خزانة القرويين، رقم: 40- 837) ص:27
20) اليوسي، القانون في أحكام العلم، 157/1
21) اليوسي القانون في أحكام العلم: 148/1-149
22) اليوسي، نفائس الدرر في حواشي المختصر.
23) الإمام السنوسي شرح المختصر المنطقي. مخطوط المكتبة الوطنية بتونس. رقم 15811
24) الفهرسة، (مخطوط)، الرباط، الخزانة العامة، رقم:1838د، ص:91
25) ابن عرفة. 2013 المختصر الكلامي. تحقيق نزار حمادي. الكويت. دار الضياء. ص: 77
26) اليوسي، نفائس الدرر، ص : 178
27) ابن عرفة. المختصر الكلامي. ص: 78 الفصل الأول: في المبادئ.

28) الإمام الفقيه أبو القاسم البرزلي البلوي المالكي المتوفى 1438/841 ط: 2002م نوازل البرزلي أو ما يسمى جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام: 186/1 تقديم وتحقيق أ.د. محمد الحبيب الهيلة. الكتاب في سبع مجلدات. دار الغرب الإسلامي بيروت.
29) اليوسي ، القانون في أحكام العلم، 305/1 – 306
30) الغزالي،1366هـ-1947م"تهافت الفلاسفة"تحقيق سليمان دنيا. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ص 43-48
31) اليوسي، الفهرسة، ص:92
32) اليوسي، مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص، طبعة حجرية، في ملكية خاصة، ص: 72
33) اليوسي، القانون في أحكام العلم: 1/ 214
34) العضد، ط:1، ط:1401هـ-1981م شرح على مختصر: منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، لابن الحاجب، (، مصر بولاق، المطبعة الكبرى الأميرية.) 36/1.
35) أ.د. عبد الكبير العلوي المدغري، 1409هـ – 1989م،.الفقيه أبو علي اليوسي، ص: 294 طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
36) اليوسي، القانون في أحكام العلم: 413/2
37) نفس المصدر: 578/2-588
38) السيوطي، النقاية: يتضمن خلاصة أربعة عشر علما، على حاشية "مفتاح العلوم للسكاكي"، مصر، مطبعة التقدم العلمية ، وقف عليه في خزانة القرويين بفاس رقم: 339 ص:248
39) نفس المصدر. ص:248
40) اليوسي، الحاشية على كبرى السنوسي، ص: 53
41) نفس المصدر: ص: 54
42) السيوطي، الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، نسخة مراجعة على نسخة مصر، دار الكتب المصرية والأزهرية، دار الفكر، 255/1